

الفصل الثاني

بعض نظريات النمو

وتطبيقاتها في مجال نمو الإنسان وتربيته

أولاً، نظرية التحليل النفسي *Psychoanalysis Theory*:

تعتبر نظرية التحليل النفسي نظرية في الشخصية ومنهج في العلاج النفسي ومنهج بحثي لدراسة السلوك، ويمثل التحليل النفسي عدة اتجاهات منها ما هو قديم يرجع إلى فرويد، واتجاه جديد يمثله الفرويديون الجدد.

الأسس التي تستند إليها نظرية التحليل النفسي،

تستند نظرية التحليل النفسي إلى مجموعة من الأسس الهامة، كما يلي:

١- أن الطبيعة الإنسانية شريرة وغير خيرة، بمعنى أن الأصل في الإنسان الشر، وأن سلوك البشر الذي يبدو خيراً، إنما يمثل حيلاً دفاعية يدافع بها الإنسان عن دوافع الشر في نفسه.

٢- أن خبرات الطفولة والإحباطات والصراعات ونمط العلاقات الأسرية لها أثر كبير في بناء شخصية الفرد وسلوكياته السوية والشاذة، وأن بعض أنصار هذه النظرية مثل أريكسون *Erickson* أشار إلى أن هناك أزمات في كل مرحلة من مراحل النمو ينبغي أن يتخطاها الفرد حتى ينمو نمواً سليماً.

٣- إن الشخصية تتكون من مكونات أو نظم ثلاثة من الطاقة هي:

• الهو أو الهي (*ID*): وتعني مجموع الغرائز التي يولد الفرد مزوداً بها، وتريد إشباعاً عاجلاً حتى لا يشعر الفرد بالقلق والتوتر، ويخضع الهو في إشباعها للغرائز لبدأ اللذة دون اعتبار لمقتضيات الواقع، ومن ثم يهدف (الهو) إلى تجنب الألم والضيق

فإذا ما تزايد التوتر أو القلق نتيجة لاستثارة داخلية أو خارجية، فإن (الهو) تنشط في الحال دونما اعتبار للواقع لإشباع هذه الغرائز وعلى رأسها غريزة الجنس "وتلجأ الهو إلى العمليات الأولية كمحاولة للتخلص من التوتر بتوحيد الإدراك أي أن الهو يعد الصور العقلية المبنية على التذكر مساوية للمدرك الحسي ومطابقة له، ومعنى هذا أن تذكر الطعام مساو ومطابق لعملية تناول الطعام عند الهو، أي أن الهو يعجز عن أن يميز بين الصورة المتذكّرة وهي ذاتية، وبين الإدراك الحسي الموضوعي للشيء القائم فعلاً ومن أمثلة العمليات الأولية . الأحلام عند النوم . فالجائع يحلم بالطعام. (جابر عبد الحميد، ١٩٨٦).

"تعتبر (الهو) المصدر الأول للطاقة النفسية ومستقر الغرائز وهو الصقّ بالجسم وبعملياته منه بالعالم الخارجي، وهي تحتاج إلى التنظيم وطاقتها غير مستقرّة بحيث يتم الخلق منها أو تحويلها من موضوع إلى آخر، والهو لا يتغير بمضي الزمن ولا يتفعل بالخبرة أو التجربة لأنه لا يتصل بالعالم الخارجي، ومع ذلك يمكن السيطرة عليه، والهو لا تحكمه قوانين العقل أو المنطق ولا القيم الأخلاقية ولا يدفعه إلا تحصيل الإشباع للحاجات الغريزية وفقاً لمبدأ اللذة. (Hull, 1967)

- الأنا (Ego): وهي ذلك الجزء من الشخصية الذي ينمو نتيجة تفاعل الفرد مع البيئة، ويتكون من القيم والعادات والبضوابط والتقاليد والنظم التي تعلمها الفرد من بيئته وتوجه سلوكه بما يتفق مع قيم المجتمع، ففي الوقت الذي يسعى فيه الهو إلى إشباع غرائز الفرد، إلا أن ظروف الواقع والبيئة تتطلب من الفرد أن يتعلم السيطرة على هذه الغرائز، وأن يشبعها بطريقة مقبولة، ومن هنا تنشأ الأنا لتكون

وظيفتها السيطرة على السلوك، ومنع الهو من تحقيق إشباع غير مشروع للغرائز فهي تنظم عملية الاتصال بالواقع.

فالأنا . إذن . تخضع لبدأ الواقع تفكر تفكيراً موضوعياً ومعتدلاً ومتمشياً مع الأوضاع الاجتماعية المتعارف عليها، أما وظيفته فهي الدفاع عن الشخصية والعمل على توافقها مع البيئة وحل الصراع بين الكائن الحي والواقع أو بين الحاجات المتعارضة للكائن الحي، فالأنا هي ذلك الجزء المنظم من الهو، وهي تخرج إلى الوجود لتحقيق أهداف الهو ولا تحبطها، وكل قوتها مستمدة من الهو وليس لها وجود مستقل عن الهو. (سيد محمد غنيم، ١٩٧٨).

الأنا الأعلى (Super Ego): (الضمير أو الرقيب على الشخصية) وهو ذلك الجزء من الشخصية الذي يمثل حصيلة استدخال الطفل لقيم والديه في ذاته أو استدخال القيم الوالدية التي كانت تمثل الرقابة على الفرد واستدخالها في ذات الفرد لتمثل الرقابة الداخلية أو الضمير.

ويتكون (الأنا الأعلى) كجزء خاص من (الأنا)، ويؤدي وظيفة الحاكم على مقعد السلطة والتي تمثل أيضاً الوجه الأخلاقي للأنا، وتتكون (الأنا الأعلى) من الأنا فيما بين العامين الثالث والخامس من العمر، وتستمر عملية استدخال خصائص الكبار المحيطين بالطفل كوالدين والمعلمين على الرغم من أن هؤلاء يبقى دورهم ثانوي لأنهم يتأثرون بطريقة غير مباشرة بمطالب المجتمع (فرويد ١٩٦٩، Freud)، وهي أداة لنقل الأفكار والمعلومات إلى حيز الضمير الذي يعاقب على الأفكار والأفعال المحرمة وهي أيضاً مثالية تلتزم بالمعايير والقيم الأخلاقية السائدة.

ويرى فرويد أن هذه المكونات في صراع فيما بينها، فالهوى يسعى إلى إشباع سريع للغرائز بأي طريقة، والأنا يحاول أن يكيف مطالب الهوى مع الواقع. والأنا الأعلى يمارس ضغوطًا على الهوى وعلى الأنا، لأنه يمثل ضمير الإنسان، فضلاً عن ضغوط المجتمع.

٤- إن (الأنا) تتعرض إلى ضغوط متناقضة، فالهوى يريد إشباعًا للغرائز كيفما اتفق وهناك ضغط الأنا الأعلى الذي يضغط في اتجاه التقيد بالمثاليات والجوانب الخلفية، وهنا الضغط المجتمعي المتمثل في العادات والقيم، ومطلوب من (الأنا) أن توفق بين الضغوط الثلاثة، فإذا حصل ذلك كان الفرد في حالة من الاتزان، وإن لم تستطع اضطرب سلوك الإنسان.

٥- يتحقق التوافق النفسي في ضوء:

- قدرة (الأنا) على تحقيق حالة الاتزان، أي التوفيق بين مطالب الهوى والأنا الأعلى.

- قدرة الفرد على إدراك دوافعه وضبطها وإشباعها بطريقة مقبولة بعيداً عن استخدام الميكانيزمات الدفاعية اللاشعورية.

- القدرة على مواجهة الإحباطات والتوترات وحل الأزمت وإشباع الحاجات بأساليب ناجحة.

٦- يؤكد فرويد على أهمية الغرائز باعتبارها مصادر للشعور بالإثم، وما يرتبط بها من مشاعر القلق والإحباط، وخاصة غرائز الحياة في مقدمتها الجنس وغرائز الموت وأهمها غريزة العدوان وجعلها من أهم محركات السلوك، بل أنها تمثل محور الصحة والمرض، كما تؤكد أهمية الحيل الدفاعية اللاشعورية التي تعتبر الأساس في تفسير السلوك العُصابي.

تفسير نظرية التحليل النفسي لاضطراب الشخصية:

ينشأ الاضطراب النفسي نتيجة عجز (الأنا) في الوصول إلى حالة التوازن بين مطالب (الأنا الأعلى) والواقع ومطالب (الهو)، فإذا فشلت الأنا في حل الصراع بين هذه المكونات ينشأ القلق ومن ثم الصراع بين إشباع الغرائز وبين قيم المجتمع، وهنا تلجأ الأنا إلى استخدام الحيل الدفاعية أو ما يسمى بميكانيزمات الدفاع، وخاصة حيلة الكبت حيث يتم دفع الخبرات المقلقة من الشعور إلى اللاشعور والحيل الدفاعية وإن كانت وظيفتها ظاهرياً تخفيف التوتر والقلق ومشاعر الألم لدى الفرد، إلا أنها حلول غير واقعية تقوم على تشويه الواقع وخداع النفس.

وترى النظرية أن هذه الخبرات أو الأفكار أو الدوافع المكبوتة في اللاشعور تعبر عن نفسها بطريقة رمزية مقنعة، وتؤثر في سلوك الفرد، وعليه فإن السلوك المرضي المضطرب كالوسواس القهري مثلاً ما هو إلا أعراض مرضية لصراعات لاشعورية تظهر في شكل أمراض عصبية أو ذهانية أو انحرافات سلوكية.

فنيات العلاج النفسي كما تراه نظرية التحليل النفسي،

تتمثل الاضطرابات النفسية في مجموعة الأعراض المرضية التي تعبر عن نفسها بطريقة رمزية مقنعة، وهي نتيجة للدوافع اللاشعورية المكبوتة، وهذه الأعراض إما أن تمثل طريقة للتعبير عن الدوافع المكبوتة، أو هي طريقة أو محاولة للتحكم فيها والسيطرة عليها أو الاثنين معاً، وعليه فإن الأعراض المرضية مظهر سطحي يدل على صراعات أساسية وأن العلاج يكمن في:

- تحرير هذه الدوافع المكبوتة، أي الكشف عنها ونقلها من حيز اللاشعور إلى الشعور بحيث تجعل الفرد واعياً بها.

- يقوم المحلل النفسي من خلال مواقف العلاج بمساعدة المريض على التعامل مع هذه المكبوتات بطرق أكثر ملاءمة دونما خوف أو خجل.

فنيات التحليل الكلاسيكي؛

وهي تلك التي استخرجها فرويد في علاج مرضاه وهي:

١- الأريكة *Couch*: وهي طريقة الجلوس بين الباحث والمريض، حيث يجلس الباحث خارج مجال الرؤية البصرية للمريض، وبما يسمح ويشجع المريض على التعبير الحر الطليق.

٢- التداعي الحر *Free Association*: بعد وصول المريض إلى الاسترخاء والهدوء، يبحث على استدعاء الذكريات الطفولية المبكرة بحرية، كما يشجع على عدم الهروب من نفسه أو إخفاء اهتماماته الشخصية عن الآخرين، ويُراعى أن لا يراقب المريض نفسه فيما يقوله أمام الباحث، وأن ينطلق في حرية كاملة في الحديث دون تجميل أو تزييف أو اختيار موضوعات لائقة بدلاً من موضوعات يعتقد المريض أنها غير لائقة، وتأتي صعوبة هذا الأسلوب من عمليات الكف الطويلة لمثل هذه الأفكار والضبط المعتمد لها لحماية للنفس وللآخرين (عبد الستار إبراهيم ١٩٨٨ : ٢٠١).

٣- تحليل المقاومة *Analysis of Resistance*: ربما يحقق المريض تقدماً في بداية العلاج ثم يتلاشى معدل هذا التقدم حتى يتوقف نتيجة لمقاومة المريض للعملية العلاجية والتي تأخذ عدة أشكال مثل: الاكتفاء بما قال، لا يجد ما يقوله، توقف الأفكار أثناء التداعي الحر، رفض سرد الأحلام أو الذكريات المبكرة، إهمال أو نسيان المواعيد، وقد يحدث ذلك بسبب إحساس الفرد بالخجل أو الذنب تجاه أشياء ممنوعة وغير لائقة وعندئذ تظهر المقاومة، وعلى الباحث التعامل مع هذه المقاومة بما يساعد في زيادة استبصار المريض بحالته.

٤- تحليل الأحلام: يرى فرويد أن أحلام المريض هي السبيل لفهم اللاشعور وما يموج به من صراعات.

٥- التنفيس الانفعالي (التفريغ الانفعالي): بمعنى تشجيع المريض على تذكر الحوادث والخبرات الشخصية الماضية، واسترجاع الدوافع والذكريات والصراعات اللاشعورية بما يصاحبها من انفعالات والتي لم يعبر عنها أثناء الصدمة تعبيراً كافياً، مما أدى إلى الكبت وتكوين العُصاب.

٦- الطرح: يرى فرويد أن المراحل المبكرة للنمو هي المصدر الرئيسي للاضطرابات ومن هنا كان تأكيده المستمر على أن المشكلات الحالية للمريض تكمن في استعادة العصاب الطفلي ففي المواقف العلاجية تنبعث هذه الصراعات المبكرة في علاقة المريض بالباحث. أي أن علاقة المريض بالباحث تنبعث وتؤثر في مشاعر المريض واتجاهاته نحو باحثه، وهذا ما يطلق عليه الطرح الذي يعوق تقدم العملية العلاجية. (رشدي فام ٢٠٠٠: ١٤)

٧- الطرح المضاد: يحدث الطرح المضاد عندما يجد الباحث أحياناً أن المريض يطرح عليه مشاعره الطفولية المكبوتة، فيجب عليه أن يحل المقاومة التي أبدتها المريض مثل إسقاط صورت الأب على الباحث.

(رشدي فام، ٢٠٠٠: ١٤ - ٧٢).

٨- تحليل التحويل (تحليل الطرح): يحلل الباحث سلوك المريض في موقف التحويل لتنمية الاستبصار لديه، كما يمكن للباحث، أن يستفيد من ذلك في التغلب على المقاومة التي تطرأ على المريض.

٩- التفسير: حيث يبين الباحث للمريض، ويكشف له التفسير اللاشعوري لسلوكه وأفكاره وهو طريقة يمكن من خلالها توجيه المريض وقيادته حيث ينجح في أن يتبنى طرقاً جديدة في النظر للأمور، ويعرف التفسير بأنه العملية التي من خلالها يساعد الباحث المريض في فهم معنى الأحداث والخبرات الشخصية في الماضي والحاضر، وأن يوجه انتباهه إلى مجالات ووجهات نظر مختلفة بحيث يكون قادراً على إدراك مشاعره، وأفكاره وسلوكه بصورة مختلفة ومن الناحية الفنية يتكون التفسير من أربع مراحل طبقاً لوجهة نظر "رينر، ١٩٧٦" وهي:

- مرحلة الأسئلة المباشرة حيث تساعد على توجه المريض إلى وجهات نظر جديدة.
- مرحلة طلب التوضيحات وتهدف إلى التركيز على مجالات الحديث بشكل مختلف بحيث تفتح أمام المريض الباب لإدراك جديد لتصرفاته السابقة.
- مرحلة تدعيم موضوع الحديث أو تشجيع الإستطراد فيه، إما بالتعجب أو الاستغراب مثلاً، أو بشكل لفظي مثل قول الباحث للمريض للتشجيع على الحديث (جميل، رائع .. الخ).
- مرحلة المواجهة يمكن من خلالها مساعدة المريض على وضع تفسير جديد للربط بين مجموعة من الأحداث تساعد على الاستبصار الدقيق بالمشكلة، وتمهيد الطرق للتفسير بالمعنى الدقيق، أي تأتي التفسيرات التي من خلالها يمكن تعريف المريض ومواجهته بأشياء في نفسه لم يكن يدرك صلتها في إثارة مشكلاته. (عبد الستار إبراهيم، ١٩٩٤ : ٢٠٣ - ٢٠٤)

١٠- العلاقة العلاجية الدينامية: يؤكد التحليل النفسي على أهمية العلاقة الدينامية بين الباحث والمريض، وفي هذه العلاقة يجب على الباحث ألا يواجه أي نقد إلى المريض، وألا يتخذ دور الرقيب، وأن يمتنع عن اتخاذ موقف النصح والمواجهة.

فنيات التحليل النفسي الحديث،

يركز الفرويديون الجدد على العوامل الاجتماعية البيولوجية. وبالتالي تأثرت الفنيات العلاجية المستخدمة بهذا التوجه، على الرغم من اعتماد البعض على الفنيات التقليدية للتحليل النفسي والبعض الآخر اشتق فنيات خاصة به مثل ميلاني كلاين والفرد أدلر، وفيما يلي نعرض لهاتين الفنيتين:

طريقة ميلاني كلاين: ومن الفنيات التي أستخدمها ميلاني كلاين مع الأطفال ما

يلي:

١- التحليل الذاتي اليومي المنتظم:

حيث يتم تسجيل الملاحظات عن سلوك المريض، ثم تحليل هذه الملاحظات من خلال المقارنة والفحص والتصنيف، ثم يتم تفسيرها مما يؤدي إلى زيادة الاستبصار الجديد بما حدث في السنوات المبكرة لحياة الطفل.

٢- موقف هنا والآن *Here and Now situation*: وفيه يتم التركيز على مكونات الموقف الحالي بدءاً من الحجرة التي يتم بها العلاج وحتى تحديد مكون القلق وفهمه.

٣- الألعاب والدُمي: تستخدم الألعاب والدُمي بديلاً للأحلام والتداعي الحر، اللذين هما جزءاً مهماً من العملية التحليلية للكبار، حيث تعد أكثر ملاءمة للعمل مع الأطفال.

العلاج الأدلري *Adlerian Therapy* ،

ينسب إلى ألفريد أدلر *Alfred Adler*، ويتلخص العلاج الأدلري في بعض الطرق

والفنيات مثل:

- ١- فهم ملاحقة الذات *Catching Self*: أي تعليم الحالة ليصبح على وعي بأي أفكار هدامة للذات *Self Destructive* مع ملاحظة أن الباحث قد يساعد الحالة في المراحل الأولى من هذه العملية ثم يتحمل بعد ذلك مسئولية نفسه.
- ٢- تحديد المهمة *Task Setting*: حيث يتم تدريب الحالة على وضع أهداف قصيرة المدى كي يمكنه تحقيقها، حتى يصل إلى مرحلة وضع الأهداف الواقعية طويلة المدى.
- ٣- مفتاح الدفع *Push Button*: تشجيع الحالة على إدراك أن لديه الاختيارات الخاصة بالمواقف المثيرة التي يتعرض لها، ويتعلم المريض كيفية تكوين المشاعر التي يريدها من خلال التركيز على أفكاره.
- ٤- **أفعل كما لو** *Action as If*: أي تعليم الحالة أن يتصرف كما لو كان "الشخص المثالي" الذي يتمناه.
- ٥- التشجيع *Encouragement*: أي تستشعر الحالة أن الباحث يثق فيه ويقدره، كما يحاول تشجيعه من خلال توضيح أن تغيير سلوكه أمراً يمكن تحقيقه.
- ٦- طرح السؤال *Ask the Question*: يقوم الباحث بطرح سؤالاً أو عدة أسئلة من شأنها أن تساعد الحالة على تحديد الانفعالات والأفكار السلبية وزيادة فهم الذات، وتدور الأسئلة حول قيام الحالة بالمقارنة بين حالاته في السواء والمرض.

٧- **المواجهة Confrontation**: يشجع الحالة على مواجهة نفسه، حتى يستطيع أن يدرك إمكانية دوره في تغيير سلوكه.

٨- **تنمية البصيرة Develop insight**: يحاول الباحث مساعدة الحالة على تنمية بصيرته، وذلك من خلال طرح مجموعة من الأسئلة مفتوحة النهاية " - **Open Ended** " بحيث تساعد على اكتشاف أسلوب حياته والذي لم يتضح له من قبل

٩- **تحليل أسلوب حياة العميل Analysis the client's life - style**:

تمكن هذه الفنية الباحث والحالة من فحص واستكشاف الأحلام والبيئة الأسرية التي تؤثر على إدراكه لذاته وللآخرين، هذا بالإضافة إلى تحليل مذكراته والقصص الشخصية وما يحدد أسلوب حياته.
تقييم النظرية:

كشفت هذه النظرية عن جوانب هامة في حياة الإنسان، فقد كشفت عن الخبرات اللاشعورية، والحيل الدفاعية اللاشعورية ودورها في اضطراب السلوك، كما كشفت عن جوانب علاجية هامة، وعن آراء في السلوك المضطرب حيث أوضحت أن الأعراض المرضية ما هي إلا مظاهر تخفي وراءها أسباباً واضطرابات عميقة، كما استخدمت أساليب مختلفة مثل التقبل الشخصي للمريض، والتفريخ الانفعالي، ودور الاستبصار في العلاج ودور التداعي الحر، ودور التفسير... الخ.

سلبيات النظرية،

من أوجه النقص (الدرجة للنظرية، ما يلي:

١- أنها تستغرق وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً دون نتائج ملموسة في علاج الاضطرابات النفسية.

- ٢- عدم صلاحية النظرية للأمراض العقلية لأن المريض لا يملك (أنا) متداسكة، ولا تلائم حالات الضعف العقلي والاكنتاب الحاد.
- ٣- اعتمد فرويد في نظريته على دراسة الحالات المرضية ثم عممها بعد ذلك على حالات أخرى.
- ٤- تركيز النظرية بشكل مبالغ فيه على دوافع الجنس والعدوان وأهملت دور بعض الدوافع الإنسانية الأخرى.
- ٥- التجاوز في وصف طبيعة الإنسان حيث تصف هذه الطبيعة بأنها عدوانية وشريرة.

ثانياً، اتجاه التحليل النفسي ودورة الحياة - إريك إريكسون *Erick Erikson*:

يعتبر (إريك إريكسون) من أشهر المحللين النفسي، فقد أدخل مفاهيم (أزمة الهوية *Identity Crisis*) و (دورة الحياة *Life Cycle*) و (الفضاء الداخلي *Inner Space*)، والتي أصبحت مألوفة لدى العاملين في مجال التربية وعلم النفس والعلوم الاجتماعية، ونظريته تتضمن وتدمج عناصر معرفية بالإضافة إلى مفاهيم تحليلية نفسية تقليدية مما يجعلها تبدو قريبة إلى حد كبير للاهتمامات المعاصرة في بحوث الشخصية. وترطور (إريكسون) (التحليل النفسي) (الفرويدي) في أربعة أساليب كما يلي

- ١- زيادة وتوسيع مفهوم "الأنا" حيث أظهرها على أنها تمثل حلاً إبداعياً للمشكلات التي تظهر من خلال البيئة الثقافية والتاريخية والبيولوجية لكل فرد.
- ٢- ناقش (إريكسون) مراحل (فرويد) في النمو جاعلاً البعد الاجتماعي أكثر وضوحاً واهتماماً.
- ٣- أثرى (إريكسون) مفهوم النمو التطور لينطوي على دورة الحياة كاملة من الطفولة حتى الكهولة.

٤ - كشف كذلك عن تأثير الثقافة والمجتمع والتاريخ على الشخصية النامية وتصوير ذلك

في دراسات تاريخية نفسية للعظماء والمشاهير.

الاهتمامات العامة:

ويأخذ (إريكسون) على (فرويد) اهتمامه الزائد بالجانب الفوضوي في الشخصية "الهي" دون الجانب المتعقل "الأنا"، ولاعتباره أن الجنس يبدأ منذ الميلاد وليس مع البلوغ وذكر أن التحليل النفسي يجب أن يرجع إلى التوجه البيولوجي بشكل أساسي، ويصف غرائزنا الجنسية والعنوانية في الطفولة بالغموض، فالدوافع المرنة بصورة غير عادية تتأثر بكل من التدريبات وأساليب المعاملة الوالدية والعوامل الثقافية، كما أصر على التركيز على الدور الذي تلعبه "الأنا" والقوى الاجتماعية في تشكيل الشخصية الإنسانية.

يرى (إريكسون) أن عملية بناء الشخصية تعتمد على الصفات الوراثية والبيئية معاً، وأن التطور يحدث على شكل مراحل تعتمد كل منها على الأخرى السابقة لها، فنحن لا يمكننا تحقيق الهوية دون الشعور بالثقة أولاً، حيث إن هذه المراحل المتتالية هي جزء من مكوناتنا، ويرتبط (إريكسون) بين الخبرات المتنوعة والمرحلة العمرية التي يمر بها الإنسان حيث إن هناك احتمالات حدوث الثقة أو عد حدوثها، وتعمل الخبرة المكتسبة على تقوية إحدى السمات وإبرازها وفقاً للمناخ الاجتماعي والإطار البيئي الذي يعيش فيه الطفل (رمضان القذافي، ١٩٩٣ : ١٣٤).

يرى (إريكسون) أن الشعور بالهوية *Identity* تتضمن أربعة جوانب رئيسية، هي:

١ - الفردية *Individuation*: وتعني الإدراك الواعي بالاستقلالية والفردية وتحقيق هوية

مستقلة واضحة.

٢- **التكامل:** أي الإحساس بالكمال والتوازن الداخلي، وهو ما ينتج من العمليات اللاشعورية "للأنا"، فالطفل النامي يكون صورًا مختلفة للذات، مثل أقل حبًا أو أكثر حبًا من قبل الآخرين، الطاعة والعصيان، ضالة الجسم والعجز عن الاستقلال في الصغر مقابل كبر الجسم والقدرة على الاعتماد على النفس في الكبر وغيرها.. و"الأنا" السوية تكامل بفاعلية بين هذه الصور الخيالية وينتج عن ذلك إحساس بالتكامل والانسجام الداخلي والتفرد مع نمو الشخص وتطوره.

٣- **التمائل والاستمرارية:** أي بذل مجهود شعوري للإحساس بالتمائل الداخلي والاستمرارية بين ما هو ماضٍ وما يتوقع أن يحدث في المستقبل، والشعور بأن حياة الفرد ملائمة له.

٤- **التماسك الاجتماعي:** أي الإحساس الداخلي بالتمسك بالمثلثات والقيم التي يؤمن بها بعض الجماعات، والشعور بالتدعيم الاجتماعي والصدق، والهوية الثابتة تحقق إحساس داخلي بالتمائل والاستمرارية ويكونها ذات معنى للآخرين وأن الفرد قريب لإدراكهم وتوقعاتهم وعند حسن ظن الآخرين به، ولذلك فالهوية كعملية مستقرة ليس فقط في ذات الفرد لكن أيضًا في ثقافته التي ينتمي إليها (محمد السيد عبد الرحمن، ١٩٩٨).

المجتمع والثقافة،

يرفض (إريكسون) بصورة نسبية مفهوم (فرويد) عن المجتمع من أنه مصدر إحياء لرغبات الفرد، فيقول: "إن الصعوبات الكبرى في طريق التحليل النفسي كعلم نفس عام يحتمل أن تتمثل في بقاءه على مفهومه الأول من أن البيئة تمثل عدوًا لنا، إن

عالمنا يتضمن الأعراض والدفاعات، ولكن علم نفس "الأنا" قد حرك مواضع اهتمامه لدراسة جذور "الأنا" في التكوين الاجتماعي.

كما يرى (إريكسون) أن المجتمع يلعب دوراً هاماً في تطوير ونمو "الأنا"، فهو على العكس من (فرويد) خصص بعض الوقت لدراسة تأثير الثقافات المختلفة على الشخصية ففي ولاية (إنديانا الأمريكية) درس قبيلتي (السيوكس واليورك)، حيث لاحظ أن قبيلة (السيوكس) كانوا يستمرون في إرضاع أطفالهم من الثدي لعدة سنوات، أما قبيلة (اليورك) فكانوا يفضلون الفطام المبكر، وما لذلك من تأثير على الحالة النفسية للأطفال في كلتا القبيلتين.

ويركز (إريكسون) على مساعدة الأفراد كي يجدوا الأدوار المناسبة داخل النظام فإن الثقافة تسعى أيضاً لتخليد وتدعيم نفسها بنفسها، والتأثيرات الاجتماعية ليست دائماً نافعة.

مكونات الشخصية:

يرى (إريكسون) أن الشخصية تتكون من:

١- الهو: لاشعورية تماماً ولا تستطيع إدراك الصواب من الخطأ، وهي المكون الوحيد الذي نولد مزودين به، وعلى هذا فهي تحوي تاريخنا الذي يخبر البداية لنا والغرائز الفطرية والمورثة.

٢- الأنا: تقع "الأنا" بين "الهي" و"الأنا الأعلى"، وهي لاشعورية إلى حد كبير، كما في نظرية (فرويد)، فهي تحفظ التوازن بين دوافع "الهي" المحرمة والقيود القاسية التي يفرضها "الأنا الأعلى"، وذلك باستخدام ميكانزمات الدفاع اللاشعورية، كالكبت والإنكار والإسقاط، والتوحد والنكوص، وأحلام اليقظة وما إلى ذلك..

٣- الأنا الأعلى: يشمل "الأنا الأعلى" كل المثاليات والقيم الأخلاقية التي ينميها المجتمع في الفرد، ويخدم الوظيفة الأساسية لحفظ "الهو" في حالة صحية، وعلى أية حال فمن الممكن أن يصبح "الأنا الأعلى" قوة تعسفية تستخدم وسائل بدائية ضد "الأنا" وهكذا يستطيع أن يجعل العقاب يبدو وكأنه شيء مناسب للتستر على أحاسيس الكراهية والدوافع الجنسية أو يثير مزيدًا من الاعتقاد بأن الفرد أفضل من الآخرين وهو ما يجعله يستدير ضد الآخرين في صورة من المراقبة الأخلاقية الدائمة والصارمة لهم.

نمو وتطور الشخصية،

يرى (إريكسون) أن نمو الشخصية مستمر خلال دورة الحياة ككل، ووضع ذلك في ثمان مراحل تشتمل على النمو من بداية العمر حتى انتهاء الحياة، وأن الفرد ينتقل من مرحلة إلى المرحلة التي تليها عندما يكون مستعدًا لذلك بيولوجيًا ونفسيًا واجتماعيًا واستعداده الشخصي هذا يقابله الاستعداد الاجتماعي.

مراحل النمو النفس جنسي عند (إريكسون)،

تشغل مرحلة الطفولة المراحل الأربعة الأولى، بينما تشغل المراحل الأخرى بقية المراحل الثمانية من عمر الكائن الحي، وفيما يلي وصف مختصر لهذه المراحل:

أولاً: مرحلة الثقة مقابل عدم الثقة *Trust Versus Mistrust*:

تمثل الازدواجية الانفعالية للثقة مقابل عدم الثقة الاعتبار الرئيسي للمحركة الأولى والسلوك الأساسي في هذه المرحلة هو أخذ كل شيء والاحتفاظ به عن طريق الفم فالشيء الأول الذي يتعلمه الطفل هو عملية الأخذ، ليس فقط عن طريق الفم من خلال التغذية والرضاعة، ولكن أيضًا من خلال العينين والحواس الأخرى، ويوافق (إريكسون)

أيضاً على أن الرضاعة تمدنا باللذة من خلال الفم، وأن عملية التقبل السلبي والاستسلام تتحول بالتدريج لأسلوب أكثر عدوانية هو القسوة والعض عندما تظهر الأسنان، كما يؤكد (إريكسون) على الجوانب النفسية الاجتماعية للمرحلة الفمية الحسية، خصوصاً الرعاية والاهتمام الأمومي الذي يمثل الأهمية الأولى لتفاعلات الرضيع مع شخص آخر.

عندما تستجيب الأم لجوع طفلها بالتغذية المصحوبة بالشعور بالحنان، هنا يتعلم الطفل أن توجد بعض الارتباطات بين حاجاته والعالم الخارجي، وهذا الشعور الأولي بالثقة *Trust* يدعم القدرة على العطاء للآخرين، ويعد هذا الإنجاز الاجتماعي الأول بالنسبة للطفل، ولكن إذا استمرت الحالة المؤلمة من الجوع لدى الطفل محل تجاهل من قبل الأم بشكل مستمر، فإن الطفل سيطور إحساساً عميقاً بالخطر المهدد وعدم الراحة وهو ما عبر عنه (إريكسون) بالشك *Mistrust*، ويسعى للسيطرة على الآخرين من خلال التهديد أو الإفراط في الخيال.

ثانياً: الاستقلالية مقابل الخجل والشك

Autonomy Versus Shame & Doubt

تظهر هذه المرحلة خلال السنة الثالثة من العمر، والازدواجية الانفعالية في هذه المرحلة هي السيطرة على الجسم مقابل الخجل والشك، وبمجرد أن يكتسب الطفل الثقة في أسلوب أمه في رعايته وفي العالم الخارجي، فإن قوته العضلية تجعل من الممكن له السيطرة على البيئة، وخلال هذه المرحلة يسعى الطفل لكسر علاقة الاعتمادية المطلقة على الأم لكي يقوم بأسلوب جديد وهو الاندماج مع المجتمع والاستقلال الذاتي والاعتماد على نفسه.

فإذا كانت أساليب المعاملة الوالدية خلال هذه المرحلة تنشئ في نفس الطفل الشعور بالأمان، فإنه سوف ينمو لديه إحساس إيجابي لإظهار الاستقلالية، أما الوالدان

الذنان يفرطان في حماية الطفل ويشترطون قيودًا عنيفة وطرفًا لا تقبل التغيير على تدريب الطفل على الذهاب للحمام، فإن الطفل سيستجيب بنوع من العجز وعدم القدرة على ضبط ذاته أو الاستبقاء العنيد لفضلات الجسم، مع قلق صريح وواضح واشمئزاز، وفي هذه الحالة فإن تعبيرات الطفل لتحقيق الاستقلال ستصبح شعورًا بمزيد من الخجل والشك . فإن الاستقلال الذاتي والخجل والشك مظهران حتميان لكل شخصية، والنمو الناجح يتحقق من خلال ترجيح كفة الاستقلال واستخدام الأساليب النفسية الاجتماعية التي تدعم حرية الاختيار وضبط النفس من ثم قوة الإرادة، وتمثل الإرادة فضيلة "الأنا"، فهي تصميم وعزم لحرية الاختيار، وتختلف المجتمعات في تدعيم أو تحطيم إرادة الطفل حسب ثقافتها في التربية مما يشعره بالخجل والشك.

ثالثًا: المبادرة مقابل الشعور بالذنب *Initiative Versus Guilt*:

الازدواجية الانفعالية لمرحلة من (3-5 سنوات) هي المبادرة مقابل الشعور بالذنب، ففي هذه المرحلة يتقن الطفل المشي والجري، وهو ما يزيد إحساس "الأنا" بالسيادة وعمل ما تستطيع، ويمكن للطفل الآن أن يتعلم تغيير الدافع الجنسي إلى أهداف مقبولة مثل اللعب، ويشغل اللعب تفكيره وتحطيطه ويصبح المحاولة التي يعبر من خلالها من بر الفشل إلى بر النجاح، لقد أصبح قادرًا على ترك الرغبات الأوديبية والتغلب على الإحباط وتبديله باللعب بأدوات وأدوار الكبار والتحول من عقدة الذنب والموافقة الوالدية إلى إنجازات أخرى تسهم في تحديد شعوره بالمبادرة، مما ينتج عنه تكيف "الأنا" واكتساب الصفات الحميدة مثل الشجاعة، وتتبع الأهداف القيمة التي يمكن أن تُغرس فيه والتحرر من خشية العقاب.

رابعاً: المثابرة مقابل الشعور بالنقص *Industry Versus Inferiority*:

هذه المرحلة تقابل مرحلة الكمون عند (فرويد) حيث يرى (إريكسون) أن فيها خصائص تخيلية وعاطفية تتلاشى وتنطفئ، لذا يشعر الطفل بحيرته، فيبدأ في التعلم، وفي هذه الفترة تضعف الرغبات الجنسية، وتتميز هذه المرحلة بأنه يمكن وصفها بأنها مرحلة حب الاستطلاع والرغبة في التعلم، حيث يمارس الطفل عملية الإعلاء لدوافعه الغريزية ويفضل اكتساب المعرفة عن طريق إنجاز أشياء قيمة، ويبدأ كذلك في تعلم قيمة العمل والاهتمام بالثقافات الأخرى التي تؤيد هذه الجهود وتزوده بالمعلومات التي يسعى للحصول عليها.

وفي هذه المرحلة (٩ : ١١ سنة) تقريباً يهدأ النمو الجسدي ويصاحبه هدوء النمو النفسي، ويميل إلى اللعب الاجتماعي، وهو يضمن بلعبه مواقف من الحياة الاجتماعية الواقعية، ويميل الجنسان إلى الانفصال فيما يختص بعبادات اللعب، وإن كان في بعض الأوقات يتطرق كل منهما إلى عالم الآخر، ويبدأ اللعب يفقد أهميته في نهاية هذه المرحلة ويتخذ عالم الأقران موضعاً ذا أهمية مساوية لموقف الكبار والأقران ضرورة في حياة الطفل لتحقيق احترام الذات، فمعهم يجد الطفل متنفساً لتحقيق الذات خارج نطاق الأسرة.

إن نجاح الطفل أثناء هذه المرحلة في تحقيق مطالبها يسهم بإيجابية في الإحساس بالثابرة، أما الفشل واليأس فيقلل من القدرة على الاستخدام الأمثل للأدوات والإمكانات بطريقة منتجة، مما يعطيه الإحساس بعدم التوافق والشعور بالنقص.

خامساً: هوية الأنا مقابل عدم وضوح الدور

Ego Identity Versus Role Confusion

الازدواجية الانفعالية في هذه المرحلة هي هوية "الأنا" مقابل عدم وضوح الدور وفي مرحلة المراهقة التي اعتبرها (إريكسون) فترة الانتقال من اعتمادية الطفولة إلى استقلالية

الكبار، ويجب على المراهق أن يتوافق مع التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للنضج الجنسي.

والأزمة الحادة في هذه المرحلة هي أزمة الهوية *Identity Crisis*، وهي أزمة يمر بها أغلب المراهقين في وقت ما، ويعانون فيها من عدم وضوح الذات، أو عدم معرفة المراهق لنفسه الآن، أو ماذا سيكون عليه في المستقبل، فيشعر بالضياع إزاء ما يجب أن يفعله ويؤمن به، وهي علامة على طريق النمو يمكن أن تؤدي إما إلى الإحساس بالهوية أو إلى مزيد من تشتت الدور تشتت الهوية *Identity Confusion*.

ويتوقف نجاح المراهق في حل أزمة الهوية على ما يقوم به من استكشاف للبدائل في المجالات النظرية والاجتماعية، وكذلك على ما يسير عليه من التزام أو تعهد بالقيم والمعايير السائدة في مجتمعه، وبناءً على ما يحصل عليه المراهق من نجاح أو فشل في حل أزمة الهوية يتجه إلى ذاته، فإما أن يتجه إلى الجانب الإيجابي منها فتتضح هويته ويعرف نفسه بوضوح ودوره في المجتمع، وهو ما يعرف بإنجاز الهوية، وإما أن يتجه إلى الجانب السلبي منها ويظل يعاني من عدم وضوح هويته، وهو ما يعرف بتشتت الهوية.

سادساً: الألفة والمودة مقابل العزلة *Intimacy Versus Isolation*:

الازدواجية الانفعالية في هذه المرحلة المودة مقابل العزلة، وهي مرحلة الشباب من (١٨ : ٢٤ سنة)، وفيها يكون الشاب قادراً على الحب والعمل، أما إذا عجز عن ذلك فسيتجه للعزل، وخلال هذه الفترة يكون قد اكتسب الإحساس بالهوية، هذا الإحساس يجعله يضحى برغباته الضرورية في سبيل تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين، حيث يزيد إنجاز هويته قدرة على الاندماج مع الآخرين دون الخوف من أن يفقد جانب جوهري من ذاته، ومثل هذه المودة هامة وضرورية لتحقيق الصداقة القوية والزواج الذي له

مغزى ويحقق هدفه، في حين أن الراشد الذي لم يحقق هويته بعد، سيبقى يشعر بالعزلة وانهماك الذات، ولذا سنجدّه منفصل عن الآخرين ومنعزل عنهم.

سابعاً: الركود مقابل الإنتاجية *Stagnation Versus Genertivity*:

وفي هذه المرحلة من سن (٢٥ : ٥٠ سنة) تتميز بصراع العطاء أو الركود، ويحاول فيها أن يوجد عالماً من السعادة بحياته وأطفاله، وهي مرحلة الرشد هي المرحلة المثالية للإنتاجية *Genertivity* التي تضمن الإنتاج والابتكارية، وقبل ذلك التناسل، فإذا ما نجح الراشد في تطوير هوية إيجابية وأن يحقق الألفة والحياة السعيدة من خلالها، فإنه يصل إلى مرحلة الإنتاجية، وقد يتحقق ذلك من خلال التفاعل المباشر مع الأطفال أو من خلال ابتكار الأشياء والأدوات التي تخدم الأجيال الآتية، والشخص الذي يفشل في تحقيق الإنتاجية يتصف بالكساد والركود *Stagnation*، وهنا تظهر الازدواجية الانفعالية، فإذا كان معدل النمو في صالح الإنتاجية وتغلب الراشد على أزمة الكساد اكتسبت "الأنا" إحساساً بالرعاية وهو إحساس يعني أن هناك شيئاً يستحق الاهتمام وحياءً تستحق.

ثامناً: تكامل الأنا مقابل اليأس *Ego Integrity Versus Despair*:

وفي هذه المرحلة يستطيعون تحقيق تكامل "الأنا" والشعور بالإيجابية نحو الحياة التي يعيشونها، ولكنه يخشى ويتوقع الشر أو اليأس *Despair* أو الخوف من الموت قبل أن يجد الفرد طريقاً إلى حياة ذات معنى، فإذا تغلب تكامل "الأنا" على الشعور بالإحباط يكون الناتج من ذلك هو التوافق السيكولوجي الذي ينتج "الأنا" المتصفة بالحكمة *Wisdom*، أو عدم الارتباط بالحياة في مواجهة الموت، وللحكمة تأثيرها على الأجيال التالية، وهنا تنشأ ما أسميناه سابقاً "الازدواجية الانفعالية".

ويمثل تكامل "الأنا" ثمرة المراحل السابقة، وتعطي الحكمة للفرد فرصة في أن يعيد حياته إلى الوضع الأمثل والصورة المناسبة، إنها القدرة على العودة إلى الوراء وأن يسترجع صورًا من حياة ماضية أشبه بطفولة بريئة في مقابل الموت الوشيك الذي سيلفاه حتمًا وكان لسان حاله يقوله: "ليتني طفلًا لا يكبر أبدًا".

تطبيقات نظرية (إريكسون)،

١- تفسير الأحلام:

التزم (إريكسون) بنظرية (فرويد) في تفسير الأحلام مع إدخال بعض التعديلات عليها، فهو يوافق على أن الأحلام تقدم معلومات هامة عن محتوى ومحتوى اللاشعور وأن عملية التكتيف تُنتج رموز الحلم بأكثر من معنى، وأن كل من عملية التداعي الحر والتعرف على أحداث اليوم السابق للحلم تعد عوامل مساعدة ومُعينة وذات قيمة في عملية التفسير، وفي رأي (إريكسون) تبقى "الأنا" السوية قوية نسبيًا حتى أثناء النوم، فهي لا تقوم بمجرد حلول وسط والتوصل إلى تسوية فيما يتعلق بالدوافع غير المشروعة للهي الغريزية كما يدعي (فرويد)، ولكنها أيضًا تنتج أحلام بالنجاح والإنجاز مما يمكننا من الاستيقاظ ولدينا إحساس بالكفاءة والكمال.

٢- العلاج النفسي:

ينظر (إريكسون) إلى نفسه في الأساس كمحلل نفسي، معظم أهدافه العلاجية تتشابه مع (فرويد)، لذلك فإن المريض يجتهد ليحضر المواد اللاشعورية إلى الشعور ويحقق استبصار هام في كل من المستوى العقلي والانفعالي، ويقوى القدرة على العقلانية والواقعية، والتوجه الذاتي في اختيار توجيه "الأنا"، وحيث أن أعراض المرض ما هي إلى

محاولة فاشلة لتحقيق الإحساس بالهوية يمكن أيضًا أن يزول بواسطة مساعدة المريض ليكمل البحث في سبيل تحقيق الهوية بطرق فعالة.

٣- دراسة شخصيات تاريخية:

يولي (إريكسون) اهتمامًا كبيرًا بكتابات وحياة العديد من الشخصيات التاريخية مثل (مارتن كنج لوثر Luthor)، و(المهاتما غاندي)، وحذر من استخدام السير الذاتية كبديل للتداعي الحر، وذكر أن الكتابة عن المجال النفسي للشخصيات التاريخية لا يمكن أن ينجوا من مشكلة التحول والتحول العكسي، ولقد كان (إريكسون) يهدف من ذلك أصلاً إلى إلقاء الضوء على ما بداخل هؤلاء الأشخاص في ضوء تصوراتهم ومفاهيمهم النظرية، كما استخدم هذا الأسلوب في محادثة له مع قائد جماعة (البيلاك بانثر) أو الفهود السود *Black Panther*، والذي يُدعى (هاوي نيوتن Huey Newton).

إسهامات النظرية وأهم إنجازاتها:

بعد الإسهام الأساسي في نظرية (إريكسون) هو توسيع النظرة إلى نظرية التحليل النفسي، وذلك من خلال رفضه لوجهة نظر (فرويد) بأن المجتمع دائماً معادٌ ومحبط، ومن خلال تأكيده على تأثير العوامل والمؤثرات السيكلولوجية والفروق الثقافية في نمو الشخصية، فلقد ساعد على تحقيق بعض التكامل بين التحليل النفسي وعلم الاجتماع.

بالإضافة لما سبق فقد أصبح مصطلح أزمة الهوية من المفاهيم الشائعة في حياتنا اليومية، كما يعتبر (إريكسون) أول محلل نفسي يقوم بعلاج الأطفال سواء كانوا عُصابيين أو نهمانيين، ووضع أساليب قيمة جداً في عملية العلاج باللعب، واقتناعاً منه بأن الشخصية لا تتكون أو تتبلور كلية خلال السنوات الأربع أو الخمس الأولى، وضع (إريكسون) مراحل

النمو والتطور بشكل أكثر امتدادًا، وأكد على أهمية مرحلة المراهقة بما يوازي تأكيد فرويد) على مرحلة الطفولة.

وتعد دراسة (إريكسون) لشخصية (المهاتما غاندي) من الإسهامات الهامة، وقد سار على دربه الكثيرون بعد ذلك مثل (ألبورت وماسلو)، كما يعد (إريكسون) من أكثر العلماء رفضًا للتعصب الاجتماعي والعنصري عمومًا، ومن المدافعين عن الأقليات، كما كانت نظريته للجنس الأنثوي أكثر توازنًا ومنطقية من نظرية (فرويد).
إسهامات (إريك إريكسون) في مجال الشخصية:

١- توسع (إريكسون) في دراسة نظرية التحليل النفسي الفرويدي بمناقشته لأربع طرق هي:

- زيادة فهم مصطلح "الأنا" وتوسع دائرته في مجال التعرف على الشخصية.
- اهتم بتقسيم مراحل النمو عند (فرويد).
- توسع في مفاهيم النمو لتتضمن دورة الحياة الكاملة.

٢- أكد (إريكسون) على الخصائص التكيفية لـ "الأنا" في حين أن (فرويد) اهتم بتأكيد الجانب الدفاعي، كما وصف (إريكسون) القوى الاجتماعية والتاريخية التي تؤثر على دور "الأنا" ووضعها مع الاهتمام بالجانب الإيجابي فيها بدلاً من تأثيراتها المكبوتة على النمو، كما يرى أن نمو "الأنا" يصل إلى القمة خلال مرحلة المراهقة

٣- تُظهر المراحل الاجتماعية النفسية عند (إريكسون) البعد الاجتماعي الذي تتضمنه نظرية (فرويد)، كما أن كل مرحلة من مراحل (إريكسون) بنيت حول صراع انفعالي يواجهه الناس في فترات حرجة معينة، كما أن كل مرحلة تزودنا بفرص لتكوين أساس لقوة "الأنا" وميزتها لتنمو وتكون طقوسها الخاصة.

٤- الثقة مقابل عدم الثقة هي الازدواجية الانفعالية التي تستجيب أو تقابل المرحلة الشبقية عند (فرويد)، هذه تقود إلى نمو تطور الأمل، الاستقلالية مقابل الشك تميز وتقابل مرحلة (فرويد) الشرجية، وقوة "الأنا" فيها هي الإرادة، المرحلة القضيبية تتميز بالمبادرة مقابل الذنب، قوة "الأنا" التي تظهر في هذا الوقت هي الغرض المثابرة مقابل النقص هي السمة الواضحة لفترة الكمون، وقوة "الأنا" فيها هي الكفاءة، قسم (إريكسون) المرحلة التناسلية إلى أربع مراحل فرعية، الازدواجية الرئيسية خلال المراهقة هي هوية "الأنا" مقابل غموض الدور وقوة "الأنا" هي الأمانة، الود مقابل العزلة صفة للرشد الشاب، والذي يقود إلى ظهور الحب السنوات المتوسطة تتميز بالصراع فيما بين الركود والتكاثر (الإيجابية)، قوة "الأنا" التي تظهر هنا هي العناية، المرحلة الأخيرة المميزة بتكامل "الأنا" مقابل اليأس، وقوة "الأنا" فيها هي الحكمة.

٥- أجرى (إريكسون) عددًا من الدراسات التي تظهر كيف أن الثقافة والتاريخ يشكلان الشخصية، كما قارن تطبيقات وممارسة تنشئة الطفل في قبيلتين هنديتين هما (السيوكس واليوروبك)، كما درس السيرة الشخصية لعدد من أبرز المشاهير والأعلام في مناقشته للفروق الجنسية كشف (إريكسون) عن مفاهيم الأولاد والبنات للفراغ الداخلي والخارجي، فـ (إريكسون) وضح أن عددًا من المتغيرات يدخل في نمو وتطور الشخص البيولوجي والتاريخي والثقافي والسيكولوجي.

٧- طور (إريكسون) أساليبًا من الدراسة تناسب أفراد الدراسة، كما وضع التحليل النفسي كبديل لطريقة التأمل الباطني، وهو ينظر إلى الأحداث في حياة الفرد على أساس تماسكها وارتباطها بحياة الفرد.

استخدم (إريكسون) نظرية تماسك الحقيقة الفلسفية، فهو لا يصر على الادعاء على أن عمله على قدر كبير من العلمية، كما قدم مجموعة من الاستفادات الفلسفية تضمنتها نظريته.

ثالثاً: النمو العقلي المعرفي عند (جان بياجيه):

استطاع (جان بياجيه) باستخدام المنهج الإكلينيكي في التحليل النفسي أن يدرس النمو المعرفي وطرق التفكير من خلال دراسة شخصيات أطفاله الثلاثة، وامتدت اهتماماته إلى كتب ولعب الأطفال وملاحظة سلوكهم بأسلوب علمي يعتمد على الملاحظة المباشرة.

وتتميز نظرية (جان بياجيه) بالبساطة في تفسير السلوك والواقعية في تتبع مسارات تفكير الطفل، فقد ركز فقط على (الأنا) باعتبارها الجزء المنطقي الواقعي من الشخصية، فتركز اهتمامه على دراسة (تطور التفكير).

ويطلق على نظرية (بياجيه) اسم نظرية المراحل المعرفية وهي عبارة عن أقسام التطور الارتقائي للفرد وفقاً للشروط التالية:

- تتصف كل مرحلة بالتكامل في مختلف جوانب النمو.
 - تتواصل كل مرحلة نمو بالمراحل السابقة عليها والتالية لها.
 - تتميز كل مرحلة بفترة إعداد وفترة اكتمال، ففي فترة الإعداد تكون المكونات العقلية أقل تنظيمًا وثباتًا وفي فترة الاكتمال تصل هذه المكونات إلى حالة التوازن وتكون أكثر ثباتًا وتنظيمًا.
 - ويعرف (بياجيه) النمو بأنه عملية تطور كامنة لا تتغير تحكمها مجموعة مبادئ؛
- أن النمو عملية مستمرة متفاوتة.

- أن مظاهر النمو تعكس اتجاهًا طبيعيًا للتغير من البسيط إلى المركب.
- يتدرج نمو الشخصية من خبرات محسوسة إلى خبرات اجتماعية ثم تتطور إلى مرحلة الأفكار والآراء.
- يتطور النمو العقلي من الأعمال الحسية الحركية إلى النشاط المعرفي ثم إلى التصور العقلي.

مراحل النمو المعرفي؛

يقسم (بياجيه) النمو المعرفي إلى أربعة مراحل كبرى، هي:

أولاً: المرحلة الحسية الحركية:

من (الولادة حتى نهاية العام الثاني)، ومن مهاراتها المميّزة التآزر بين أنماط السلوك البسيط، والتمييز البدائي بين الوسائل والغايات، والوعي بدوام وجود الأشياء واستمرارها في العالم المادي، وفيها ينظم الأطفال أفعالهم وتصرفاتهم كالجري والضرب وتناول الأشياء والتعامل مع الواقع الفعلي لهم.

ثانياً: مرحلة ما قبل المفاهيم:

من (٢-٧ سنوات)، وفي هذه المرحلة لا يوجد منطق أو قانون أو إدراك واعي يستطيع أن يميز الطفل به ما حوله من أشياء، ويعتمد فيها كذلك على التخيل عند مواجهة المواقف الجديدة، وفيها أيضًا تنمو اللغة عند الطفل، ويكون متركزًا حول ذاته وينمو لديه التفكير الحدسي ما بين (٤-٧ سنوات)، وفيها تظهر القدرة التمثيلية المبكرة أي الاحتفاظ بالصور الذهنية للأشياء واللعب الإيهامي وظهور المفاهيم البدائية عن العدد والسببية والعلاقات المكانية، وفيها يتعلم الأطفال أن يفكروا، ولكن تفكير غير منظم ويختلف كثيرًا عن تفكير الراشدين.

ثالثاً: مرحلة العمليات الإجرائية:

من (٧ - ١١ سنة)، وفيها يستطيع الطفل التفكير بشكل منظم، وتتطور المفاهيم التقليدية للزمن والعدد والمكان، ويستطيع الطفل في هذه المرحلة أن يصنف الواقع ويرتب وينظم الأحداث التي تقع حوله دون المقدرة على تصنيف هذا الواقع وتفسيره بشكل مجرد، ويتصف تفسيره للأشياء بالتنظيم والترتيب والدقة.

رابعاً: مرحلة العمليات الشكلية:

من (١٢ سنة إلى سن الشباب)، تتميز باستخدام التفكير المجرد، والقدرة على الاستبطان الذاتي (تأمل الذات) ويستطيع الطفل أن يدرك العلاقة بين الواقع والممكن ويتسم تفكيره بالمرونة والقدرة على الحركة والسيطرة والضبط والتخطيط، ويستطيع أن يكتشف العلاقات والاحتمالات الممكنة في الواقع المحيط به، وذلك مثل علاقة الزمان والمكان (سيد محمد غنيم، ١٩٧٨).

وقد افترض (جان بياجيه) أن هذه المراحل غير مستقلة، وإنما هي مراحل متتابعة ومتداخلة، وقد راعى في تقسيمه هذا مظاهر النمو العقلي المعرفي التي تظهر بالتدرج وتختفي بالتدرج، مما يساعد على فهم عملية النمو، كما أشار (بياجيه) إلى أن التطور العقلي المعرفي هو تطور المعرفة والأبنية المعرفية والمفاهيم والعمليات العقلية والاستراتيجيات المعرفية والأخلاق والمنطق.

كما يرى (بياجيه) أن المعرفة عبارة عن أبنية أو تراكيب ذهنية *Structures* وهي أنظمة ذات علاقات داخلية، وهذه البنى المعرفية هي قواعد للتعامل مع المعلومات أو الأحداث، لذا فإن التطور المعرفي هو تغيير في المعرفة الناتج عن الخبرة، والخبرة حتى

تصبح خبرة لا بد أن يتفاعل الطفل مع الأبنية المعرفية، وهي الواقع حوله والمثيرات والأحداث المختلفة (يوسف قطامي، ٢٠٠٠).

ومن أقوال (بياجيه) الماثورة أن الأطفال يفكرون ويعالجون عمليات ذهنية أكثر تقدمًا مما يعرضون وهم يعرفون أكثر مما يتحدثون.

- رابعاً: تطور الذات ونموها عند (جوردون ألبورت *Alport*):

تقوم نظرية (ألبورت) على تأكيد الدور الهام الذي تلعبه عوامل التنشئة الاجتماعية والقدرات الشخصية في بناء الشخصية التي هي نتاج للحاضر أكثر منه نتاج للماضي.

ويعرف (ألبورت) الشخصية بأنها "التنظيم الدينامي داخل الفرد لتلك النظم النفس جسمية التي تحدد أسلوبه الفريد في التوافق مع بيئته" (سيد غنيم، ١٩٧٨).

ويعرف السمة بأنها نسق نفسي عصبي يتميز بالتعميم والتمركز، يمكنه نقل عدد من المنبهات المتعادلة وظيفياً، واستنباط وتوجيه صور أو أشكال متعادلة من السلوك التعبيري والتوافقي بصفة مستمرة، وتقوم السمة وفقاً للرأي (ألبورت) بدور الدافع في بعض النظريات الأخرى للشخصية، إذ لا يقتصر دور السمات على توجيه السلوك فقط بل يتعداه إلى إيجاد السلوك ودفعه.

وتنمو السمات بحكم كونها وحدات أساسية في الشخصية وتتطور مع نمو الشخصية، فتبدأ في الطفولة على شكل عادات نوعية ثم تتجمع وتتكامل في شكل سمات خاصة أو نوعية، ثم تتحول إلى سمات عامة.

ويستخدم (ألبورت) مصطلح "المقاصد" كمفهوم نمائي يفسر به تطور الذات ويعني بالمقاصد آمال الفرد وتطلعاته ورغباته، كما يعني كل ما يتمنى الفرد لمستقبله أو تصوره حول ما سيكون عليه مستقبله وما يريد أن يكون عليه.

الاستقلال الوظيفي لدى الشخصية،

ويشير (ألبورت) إلى مفهوم الاستقلال الوظيفي في الشخصية، ويعني به وجود ميل لدى الفرد للاستمرار في الاستجابة بطريقة معينة حتى ولولم يعد السبب الأصلي للقيام بتلك الاستجابة موجوداً، ذلك لأن أغلب دوافع الراشد ليست لها علاقة وظيفية بنشأة الدوافع.

ويعرف (ألبورت) الاستقلال الوظيفي بأنه نزعة قوية لنمو وظيفي دافعي ما يصبح مستقلاً لدرجة بعيدة عن الحافز الذي أحدثه في البداية، إن الدافع الذي كان وسيلة لغاية أصبح الآن غاية في ذاته، فالباحر الذي كان يعمل في البحر لكسب قوته ثم تركه لفترة طويلة يحن إلى البحر في ذاته كمصدر للمتعة، والموسيقار الذي ترك العزف على آتته زمناً يتوق شوقاً إلى آتته الآن لشيء سوى حب هذه الآلة.

تطور مظاهر الذات في نظرية (ألبورت):

أولاً: تطور مظاهر الذات في مرحلة الطفولة:

يعتبر (ألبورت) السنة الأولى من عمر الطفل أقل أهمية في تحديد نمو شخصيته نظراً لما يتسم به خلال تلك المرحلة المبكرة من قابليته للنمو أكثر من أي مرحلة أخرى في حياته.

وقد يظهر الطفل في سنواته الأولى بعض الخصائص المميزة في التعبير الحركي والانفعالي الذي قد يلائمه لفترة طويلة من نموه، وقد تتحول فيما بعد إلى أشكال أكثر

نضجًا من التوافق، أن بعض السلوك المبكر يمكن النظر إليه بوصفه تمهيدًا للخصائص التالية للشخصية.

ويشكل مفهوم الذات في نظرية (ألبورت) محور نمو الشخصية وارتقاءها، وينمو مفهوم الذات بالتدرج خلال السنوات الخمس أو الست الأولى عن طريق اللغة والتذكر والمشاركة والتفاعل الاجتماعي، وهي ذلك الجانب من النمو الذي يشمل ويحتوي كل حياة الفرد، ويشير إلى أن الحاجة للاستقلال الذاتي تنمو خلال السنتين أو الثلاث سنوات الأولى من عمر الطفل، وتظهر الحاجة إلى الاستقلال في المظاهر الثلاثة الآتية من نمو الذات:

- المظهر الأول: الإحساس بالذات الجسمية (مفهوم الجسم).

- المظهر الثاني: الإحساس باستمرارية هوية الذات (استمرارية النمو).

- المظهر الثالث: الإحساس بتقدير الذات والفخر (استمرارية الثقة بالنفس).

ومن الملاحظ أن مفهوم الذات في بداية مرحلة الطفولة المبكرة (٣ - ٦) سنوات يكون على قدر من عدم الوضوح والتحديد، إذ يمكن بسهولة أن يفقد هويته في المواقف الجديدة أو المحبطة، ويخلط بين الخيال والواقع.

ويؤكد (ألبورت) على أهمية الدور الاجتماعي كمحدد خارجي لبناء الشخصية بصفة عامة، ونمو الذات على وجه الخصوص، ويحدده في أربعة أنواع.

- توقعات الدور: إذ تحدد ثقافة المجتمع ما هو متوقع من كل فرد داخل نظام اجتماعي معين.

- تصور الدور: أي مدى إدراك الفرد لدوره الذي يقوم به ومدى اتفائه مع توقعات الدور.

- **تقبل الدور:** أي مدى تقبل أو عدم تقبل الفرد لدوره الذي تحدد من مواقع فكرته عن نفسه أو توقعات الآخرين له.

- **أداء الدور:** أي مدى مطابقة سلوك الفرد للسلوك الاجتماعي في مثل هذه الحالات التي يحددها النسق الاجتماعي وما يرتبط بذلك من اقتناع الفرد وتحمسه لدور وخصائص شخصيته.

ويؤدي التفاعل بين هذه الأنواع إلى أداء الدور كاستجابة أو كسلوك اجتماعي وقد يدل مدى مطابقته للشروط المتعارف عليها في مثل هذا الموقف على نضج شخصية الفرد وتوافقته، وهكذا يمكن القول أن هناك أربعة معانٍ لمفهوم الذات، اثنان منهما يتصلان بالنسق الاجتماعي، وهما:

توقع الدور الذي يعتبر نموذجًا خارجيًا أو مثيرًا، وأداء الدور الذي يمثل نقطة التقاء نسق الشخصية بالنسق الاجتماعي، ولا يتأتى للشخص أداء دوره إلا عبر المسارات التي يقررها النسق الاجتماعي، ويتعلق المعنيان الآخران بتنظيم الشخصية، ويشملان بعدًا هامًا من أبعادها وهو "مفهوم الذات".

وعندما تنتقل إلى مرحلة الطفولة الوسطى (٦ إلى ٩) سنوات نجد أن إحساس الطفل بذاته وامتدادها قد نما نموًا كبيرًا صاحب دخوله المدرسة التي تعتبر خبرة جديدة ومثيرة بما تتضمنه من تفاعل مع الأقران والكبار على حد سواء، وبما تتضمنه من مواقف لم يألّفها من قبل هذا، بالإضافة إلى اعتماده على نفسه والمبادأة وتحمله وحده تبعات ما يأتيه من سلوك، وهكذا تتاح له خبرة جديدة وعميقة لتنمية شعوره بذاته وإدراكه لما يتوقعه الآخرون منه، وإمكانية مقارنة ومراجعة هذه التوقعات بسلوكه الفعلي، ويتعلم أن

ما هو متوقعًا منه في الأسرة غير ما هو متوقع منه خارجه، وعليه أن يكتشف بالتدريج اختلاف معايير والديه عن معايير العالم الخارجي "الجديد".

ثانياً: نمو مظاهر الذات في مرحلة المراهقة:

تعني المراهقة البحث عن ذات جديدة، إذ يعد إن استقرت الذات على صورة ثابتة نسبيًا في الطفولة، نجد الصراع بين المعايير التي جاهد من أجلها في مرحلة الطفولة، وتبرز من جديد ويشكل أكثر حدة مشكلة الانتماء بين الوالدين والأهل والأصدقاء وتثور الأسئلة من أكون؟ طفلاً أو راشداً؟ ولمن أنتمي؟ أسرتي أم أصدقائي؟ وكيف أمارس حريتي؟ أسئلة كثيرة توجي بالأزمة في شخصيته.

ومع اكتمال شخصية المراهق وقدرته على القيام بأدوار الكبار، تصبح "المسيرة" وكأنها الطريق المناسب لهذا المأزق، وأن تكامل عاداته التي اكتسبها والتي حددت مسار نموه النفسي تساعده على المسيرة الاجتماعية، لا سيما وأن هذه العادات قد أخذت تنتظم بوضوح على شكل سمات نوعية لاستقلال الشخصية، والتحرر من القلق والالتزام الانفعالي والتلقائية والمبادأة وغيرها، وبناء على هذه المسيرة تتشكل صورة أخرى من ذات المراهق، وتشتق مضمونها من الآخرين كالأهل والأصدقاء، ومكانته بينهم ومن حرصه على الالتزام بمعاييرهم ومعايير وقيم المجتمع وقوانينه.

– خامساً: النمو الأخلاقي عند (لورانس كولبرج):

مستويات ومراحل النمو الأخلاقي،

تنقسم مراحل النمو الأخلاقي في تصور (كولبرج) إلى ستة مراحل تتمايز إلى ثلاثة مستويات، المستوى قبل التقليدي، والمستوى التقليدي، وما بعد التقليدي، ويعرف نظام التفكير الأخلاقي المميز لكل مستوى بأنه المنظور الأخلاقي الاجتماعي المميز للفرد، والذي

يضعه في هذا المستوى من الحكم الأخلاقي، وذلك لأن المنظور الأخلاقي الاجتماعي للفرد يوحد تفسيراته للمفاهيم الأخلاقية في حكم أخلاقي متكامل ومتربط.

ويمكن اعتبار المستويات الثلاثة بمثابة وسائل لربط الشخصية بالتوقعات الأخلاقية للمجتمع، وفي المستوى قبل التقليدي تكون القواعد والمعايير الأخلاقية خارجية بالنسبة للأشخاص في هذا المستوى، أي أنها تفرض عليهم من الخارج بواسطة رموز السلطة "الوالدين والمعلمين"، أما على المستوى التقليدي فإن الذات تستوعب توقعات السلطة داخليًا، ولكن على المستوى بعد التقليدي يكون كل ما هو خارجي توقعات الوالدين والمجتمع، مع ما هو داخلي كالدوافع والحاجات شكلاً محددًا للسلوك الأخلاقي مع التركيز الواضح على المحددات الداخلية لتحديد الاختيارات والأحكام الأخلاقية، وفي داخل كل مستوى هناك مرحلتان، والمرحلة الثانية في كل مستوى تكون بمثابة صياغة أفضل للمنظور الأخلاقي الاجتماعي.

وفيما يلي يحدد (لورانس كولبرج) ثلاثة مستويات أخلاقية تشمل ست مراحل للنمو الأخلاقي، هي:

١- المستوى قبل التقليدي:

ويقوم على مفاهيم الثواب والعقاب، ويشتمل على مرحلتين:

- المرحلة الأولى: التوجه نحو الطاعة وتجنب العقاب:

وفيها يفعل الطفل السلوك المقبول اجتماعيًا وأخلاقيًا ليتجنب العقاب من الآخرين، سواء كانوا آباء أو معلمين.

- المرحلة الثانية: الحصول على المنفعة الذاتية:

وفيها يفعل الطفل السلوك المقبول اجتماعياً وأخلاقياً ليجلب المنفعة الذاتية وتتحقق له اللذة والسرور من وراء ذلك.

٢- المستوى التقليدي:

ويقوم على مفاهيم تقبل الآخرين والاحتفاظ بعلاقات طيبة معهم، حيث يزداد وعي الفرد بالعلاقات الاجتماعية المتبادلة وبالاهتمامات المشتركة بين أعضاء الجماعات المختلفة كالأسرة والمدرسة، ويصبح الفرد أكثر إدراكاً لتوقعات أفراد هذه الجماعات فيعمل على احترام مشاعرهم ورغباتهم، ويشتمل هذا المستوى على مرحلتين:

- المرحلة الثالثة: توجه الولد الطيب والبنيت الطيبة:

وهي مرحلة التوجه نحو العلاقات الشخصية المتبادلة، وفيها يفعل الفرد السلوك المقبول اجتماعياً وأخلاقياً ليبدو طيباً وصالحاً في نظر الآخرين.

- المرحلة الرابعة: المحافظة على النظام الاجتماعي والسلطة:

وهي مرحلة التوجه نحو النظام والقانون، وفيها يسلك الفرد السلوك المقبول اجتماعياً وأخلاقياً، التزاماً بالقوانين والنظم الاجتماعية الساندة دون تفكير في مضمونها

٣- المستوى بعد التقليدي:

ويقوم على العرف الاجتماعي والالتزام الذاتي بالمبادئ الأخلاقية العامة أمام القانون، ويشتمل هذا المستوى على مرحلتين هما:

- المرحلة الخامسة: تقبل النظام والقانون:

وهي مرحلة التوجه نحو العرف الاجتماعي والالتزام بالقانون، وفيها يؤدي الفرد السلوك المقبول اجتماعياً وأخلاقياً، التزاماً بروح القانون، وذلك من أجل رفاهية المجتمع.

- المرحلة السادسة: التمسك بالمبادئ الأخلاقية:

وهي مرحلة التوجه نحو المبادئ والأخلاق المثالية العالية، وفيها يفعل الفرد السلوك المقبول اجتماعياً وأخلاقياً، إرضاءً لضميره وأخلاقه، حيث تقوم أحكامه الأخلاقية على مبادئ ومعايير أخلاقية ثابتة.

وقد أشار (كولبرج) إلى وجود مرحلة سابعة من مراحل النمو الأخلاقي أسماها ما وراء الأخلاق "الميتا أخلاقية *Metaethical*"، وفيها يجيب الشخص عن أسئلة محددة تدور في خلدته مثل: لماذا يتصرف الناس بشكل أخلاقي؟ ولماذا يلتزم الفرد أخلاقياً؟ إنه يذهب بذلك إلى ما وراء العدالة وما وراء الأخلاق، ويشير إلى في ميادين تهتم أساساً بتكوين المعالم الأساسية للشخصية، ففي المرحلة السادسة نعرف ما هو أخلاقي ولكننا لا نعرف لماذا نتصرف بشكل أخلاقي، ولماذا تكون العدالة أمراً معقولاً ومفهوماً في عالم يملؤه الظلم والشر، إنها رؤية الإنسان لذاته في توحيد مع خالقه ﷻ وتصل هذه المرحلة إلى قمتها عند بلوغ الإنسان مرحلة الاقتراب من فهم الكون والنظام الذي يسيره (محمد السيد عبد الرحمن، ٢٠٠١)، وهي ما يمكن أن نسميه مرحلة الحكمة ونفاذ البصيرة.